ستديو ثقافة شعبية

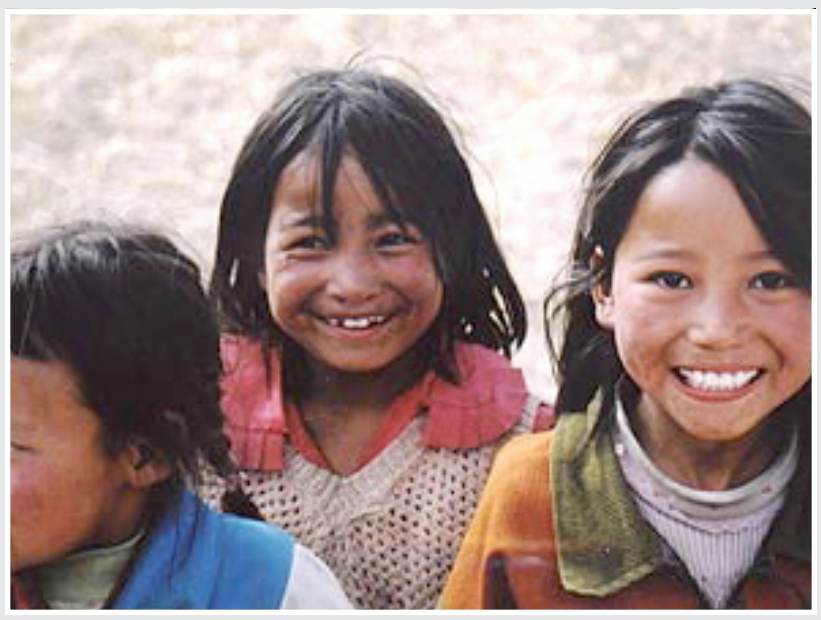

بسمات على وجوه الاطفال في قرية قرب سفح جبل افيريست في اقليم التبت

المسجد النبوي بالمدينة المنورة لحظة غروب الشمس

احتفالات في عرس القاشقاي في هضاب ايران

جلال الحنفي ..ذاكرة بغداد التراثية

مازن لطيف

شكل جلال الحنفي البغدادي ظاهرة فريدة في سيرته ومواهبه وطبيعت الشعبية وحتى شطحاته ونوادره، وعد خلال تلك الرحلة الطويلة مع العمر ومناخات العراق ومعاصرته لحقبه أن يكون شاهدا على القرن العشرين، ليدون الكثير عن خواطر ومعلومات وقراءات وبحوث موسوعية تركت بصماتها وستمكث من علامات الرجل والحقبة والوعي العراقي.

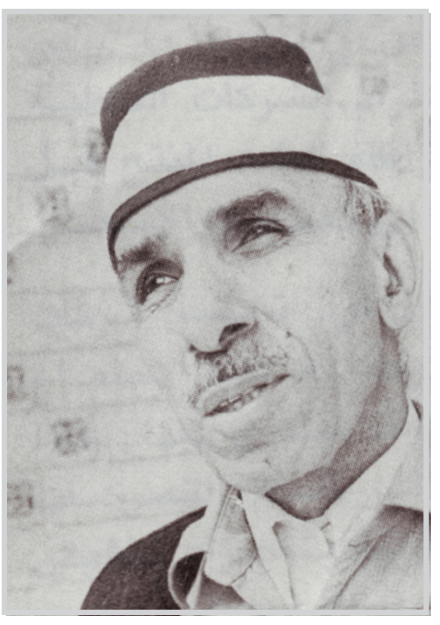

ولد جلال الحنفي البغدادي في بغداد عام ١٩١٢ ودرس في مدارسها و لازم الشيخ امجد الزهاوي والعديد من العلماء ، ثم تسنى له أن يسافر الى القاهرة حيث قضى عاماً واحداً في جامع الازهر بعدها عاد آيبا الى بغداد عام ١٩٤٠ .أسبغ عليه لقب الشيخ العلامة الموسوعي الاب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩٣٣ حينما كان يقوم بعمله اليومي المعتاد كإمام لجامع الخلفاء، وهو من أقدم ما مكث من مساجد بغداد العباسية. وقام بتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية في بكين وشنغهاي في الصين في ١٩٦٦، وتزوج من سيدة صينية كانت أم لذريته. وكان له رؤية للحياة اكتشفها منذ طفولته يلخصها ببيت لابي نواس، يقول فيه: (ما ارتد طرف امرئ بلذته إلا وشيء يموت من جسده)

ونقل عنه الباحث حميد المطبعي قوله :(الحياة مدرسة تدرس الاحياء وقائع الحياة باسلوب النظرية الصينية"تعلم السباحة في السباحة"). و ذكره الموسوعي هادي العلوي الذي ربطته صداقة وذكريات معه بان الحنفي مثقف علماني في العمق متعدد الكفاءات من فقه وادب و فلسفة و ثقافة حديثة ، وهو من عشاق بغداد والهائمين بها .

وغير مساهماته العامة فأنه تميز بغزارة منتجه التدويني ومنها كتبه: معاني القران،مقدمات الجنوح في الاحداث ، بقايا ديوان ، التشريع الاسلامي :تاريخه وفلسفته ، الصناعات والحرف البغدادية ، الامثال البغدادية ، معجم اللغة العامية ، معجم اللغة العامية الكويتية والتونسية واليمنية، مبغى البصرة ، العروض ، المقام العراقي ، الرصافي في اوجه وحضيضه، وغيرها . وما ميز تلك الأسفار تنوعها، فنجد كتباً في التاريخ واخرى في الموروث الشعبي وفي الشعر وفي الفقه.

ومن مناقبه الفنية أنه درس علم التجويد في معهد الفنون الموسيقية في بغداد،وتسنى له أن يجرى تصحيحات كثيرة في علم العروض لينتشر في مؤلف،وأوجد نماذج للعروض فالرجز مثلا هو ٨ بحور جعلها الحنفي ٥٠ بحرا وأخترع بها أوزان جديدة،وغيرها من العلوم مما يؤكد وسع أفقه الموسوعي وذوقه الفني المهذب ..

وفي سياق المنتج فقد ترك مخطوطاته جليلة تنتظر من يأخذ بيدها وينشرها ، و منها وليس للحصر الاجزاء الباقية من معجمه "معجم اللغة العامية البغدادية " و المعجم يقع في ٧ اجزاء وسبق ان طبعت ٣ أجزاء منه في حياته ، وبقيت الأجزاء الأخرى جاهزة للطبع،وعساها أن تمكث بيد أمينة ،ويقودنا السياق إلى التساؤل عن مصير كتابه "الكنايات البغدادية البذيئة " الذي أرسله في حياته إلى أحد دور النشر في المانيا ولايزال مصيره مجهول.

لم يفارق جامع الخلاني فترة طويلة حيث كان يذهب اليه مشياً على الاقدام يومياً الى يوم وفاته .وحدث ان أقمنا له قبل وفاته بأشهر أمسية وتكريم اقامها التجمع الثقافي في شارع المتنبي وسر الحنفي بحضورها وقدم لنا محاضرة عن الحضارة الاسلامية دهش الحاضرين لموسوعة وذاكرته المتوقدة، و اقترحت على زملائي في التجمع الثقافي في شاعر المتنبي ان نهدي له كتاب "الشخصية المحمدية "لمعروف الرصافي " وهو كتاب اثار مشكلة في بداية اربعينيات القرن العشرين وطبع عام ٢٠٠٢واخبرتهم ان لهذا الكتاب ذكرى لشيخنا الحنفي بعد انتهاء الامسية سلمت له الهدية و أخبرته أن الهدية الموجودة في الظرف هو كتاب الشخصية المحمدية فقال نصاً"طبعه الملاعين"وقال أنا كنت من محاربي هذا الكتاب في وقتها.

في الرابع من آذار عام ٢٠٠٦ فقدت الثقافة العراقية إحدى أعلامها المخضرمين المعمرين بعد وفاته زارت عائلته قبره بمناسبة اربيعينية الحنفي فوجدت من عبث بقبره وكتب عليه "لا امام الا الشافعي ".وهكذا حال الثقافة العراقية ورموزها، فلا تكريم لأحياء مبدعين ولا حرمة وراحة لدفين.

غضبان رومي الناشي .. المعلم الاول في العمارة

جبار عبد الله الجويبراوي

لم يسبق لسكان قلعة صالح- مسلمين ومندائيين- ان اقاموا احتفالا ضخما كالاحتفال الذي اقاموه عندما توجهوا بالسفن والزوارق الى منتصف الطريق النهري الذي يربط القلعة بالعمارة في مقاطعة المزارع الكبير داود الحميد، وذلك في انتظار ابنهم البار المعلم الجديد غضبان رومي الناشي الذي قفز من السفينة التي كانت تقله الى الشاطىء وهو يبكي فرحا، ويقبل ايادي الشيوخ الذين تجشموا عناء السفر من اجله ويشد بقوة على ايدي مستقبليه ويعانقهم بشوق وحرارة.

لاشك ان المسيرة الشبابية لهذا الرجل كانت حسنة جدا، والا فكيف يستقبل بهذه الحفاوة وهذا التكريم، وهو لما يزل في مقتبل العمر، ولم يتعد عقده الثاني بعد.

كان ذلك في عام ١٩٢٣ وهو العام الذي باشرت فيه مديرية معارف منطقة البصرة افتتاح عدة مدارس في العمارة، لان العمارة كانت واحدة من ثلاث مدن تكوّن منطقة البصرة آنذاك.

اجا كان غضبان اول المرشحين الذين وقع اختيار مديرية المعارف على تحملهم المسؤولية التربوية في مركز مدينة العمارة، فكان لها (ابو يحيى) وهو المعلم الذي افتتح مدرسة الكحلاء- الامام الصادق في ما بعد عام ١٩٢٣، والمدرسة الشرقية- فيصل الثاني- - الوثبة- في ما بعد عام ١٩٢٥، ومن هناك تألق نجمه وصار علما يشار اليه بالبنان فاسندت اليه عدة مسؤوليات تربوية ومهنية اذ اسس جمعية للمعلمين عام ١٩٢٦ وكانت باكورة اعماله فيها القاء محاضرة قيمة عن تاريخ مدينة العمارة في العهد العثماني.

ومن يقرأ تلك المحاضرة يتنبأ بامكانية هذا الباحث، وهو يحلل الاحداث التاريخية، ويضع النقاط على الحروف فيما يكتب. فقد اشار الى السياسة التعسفية التي مارسها العثمانيون الغزاة ضد ابناء شعبنا في مدينة العمارة، ولمح بطرف خفي الى خطط الاستعمار الانكليزي البغيض الذي احتل مدينتنا بعد هزيمة الاتراك في الثالث من حزيران عام ١٩١٥ .

سكن غضبان مركز العمارة، وتطلع الى حالتها الصحية، فوجدها تحتاج دعما، لذلك شمرّ عن ساعديه، واسس دارا للصحة في متوسطة العمارة الفتية، فكان موضع اعجاب وفخر، وطار صيته الى العاصمة بغداد، فتوالت الوفود الصحية على مدينة العمارة، وزاره مدير الصحة العام وامر بالتحاقه بالمستشفى الملكي لتلقي دروسا في الصحة العامة، ومعرفة مسببات الامراض، وطرق الوقاية منها. وما ان اكمل دورته حتى صار يشد الرحال ايام العطل الرسمية الى القرى والارياف النائية، وهو يرشد الناس الى الوقاية من الامراض، ويدعوهم الى زيارة المؤسسات الصحية لاخذ العلاج المناسب.

قد يتصور المرء ان هذا الرجل سيتوقف عند هذا الحد من النشاط الانساني، فقد زار قلعة صالح في مطلع الثلاثينيات وفد كشفي من المانيا وكان غضبان على رأس المستقبلين رافقهم في عدة جولات سياحية، الى المجر الكبير والكحلاء وعرض عليهم كرم العراقيين وقيمهم الاخلاقية العالية، فترك ذلك انطباعا حسنا في نفوسهم، عبروا عنه برسائل بعثوها اليه باعتباره الكشاف الاول في قلعة صالح والتي افتتح فيها فيما بعد ناديا هو الاول من نوعه حيث جعل منه تجمعا ثقافيا للشبيبة والشباب، وكانت المحاضرات التي يلقيها فيه تنشر على صفحات الصحف المحلية في مدينتنا.

كل هذا وغضبان منذ الثلاثينيات كان يرقب بعين ثاقبة كالعقاب، الباحثة الانكليزية (الليدي دراور) وهي تجمع المعلومات عن الصابئة المندائيين في العمارة وضواحيها وهو لم يتدخل في شؤونها ولم يعترض على كل ما تكتب وتسأل، وهو عالم علم اليقين في ما تكتب وتسأل، حتى اذا ما انجزت كتابها البكر آنذاك، طار به شوقا يقلب صفحاته ويدعو واحدا من ابناء طائفته اليه وهو المربي القدير نعيم بدوي ليمنحه شراكة في ترجمة الكتاب الى العربية. فكان بحق واحدا من امهات الكتب التي اعتمدها الباحثون في الاطلاع على الديانة المندائية.

الاحلام في الحياة الشعبية

محمد علي محيي الدين

أعطى الإنسان للأحلام حيزا واسعا من تفكيره،وأولاها أهمية كبيرة،وحاول تأويلها،وفك رموزها،والكثيرون منا تراءت له الأحلام وعاش دقائقها بمرارتها وحلاوتها،وقد أولاها العلماء جهدهم،فألفوا فيها المؤلفات الكثيرة ،التي حاولت تفسير الأحلام،وأشهرهم أبن سيرين .ابن قتيبة ،وأشهر ما طبع منها "الإشارات في تعبير المنامات"و"تعبير الرؤيا" لأبن سيرين،ومن المعاصرين الراحل الدكتور علي الوردي في كتابه"الأحلام بين العقيدة والحلم"والدكتور مصطفى محمود في كتابه"الأحلام"،الذي درس فيه النظريات الغربية حول الأحلام .أضاف إليها ما رآه جديرا بالإضافة، وممن درس الأحلام من الغربيين "سيغموند فرويد" الذي أخذت نظريته مكانها المناسب بين النظريات العلمية ،التي اعتمدت التحليل النفسي،وكذلك "برجسون"الذي كانت نظريته مناقضة لنظرية فرويد.

ويرى الأستاذ مصطفى محمود،أن الحلم تعبير عن خوالج النفس ونوازعها،وليس بمعزل عن تفكير الفرد،وطموحاته وهواجسه،لذلك نستطيع القول أن الأحلام دلالات رمزية عن أشياء حدثت، أو أيماءت عما سيكون،ورغبات كامنة داخل النفس،وآمال متمناة، وموازنة للصراع الذي يعيشه الإنسان.

وما يعنينا الإشارة إليه ،هو رؤية عامة الناس ،وأيمانهم بأيحائيتها ومدلولاتها، وما تشير إليه تلك الأحلام،حيث يرى الكثيرون أنها تنبوء بالأحداث،وما نراه في الحلم يمكن تفسيره من خلال العارفين،وإحالة الرموز إلى أشياء واضحة،وقد أعتمد الملوك والأمراء ،على المفسرين ،ولجأوا إليهم في تفسير أحلامهم،وهناك دلائل وإشارات في الأحلام،إذ يرى البعض ان الحلم الذي يراه الإنسان، قد يكون صادقا أو العكس،فأذا بكى الإنسان في حلمه،فسوف يضحك في يقظته ،وإذا مات في حلمه،فذلك يدل على طول العمر،إلى غير ذالك مما سنشير إليه في ثنايا البحث.

وعندما يقص أحدهم رؤيته غير المعقولة ،يقال له هذه أضغاث أحلام،أو تناولت الكثير من الطعام،أو نمت بدون غطاء وأنكشف ظهرك،وإذا كان الحلم مخيفا يقال له قص حلمك في الخلاء،فسوف لا يتحقق ما رأيت،وهناك من يبني تأويله لرموز الأحلام بالاعتماد على ما جاء في القرآن ،أو الحديث الشريف،أو التفاؤل والتشاؤم من الحيوانات،أو الاستئناس بدلالات الأشياء،فان، رؤية العراك تعني الشر،ورؤية المسدس تعني أن ترزق بولد إذا كنت متزوجا ،أو أخ إذا كنت أعزباً،وهناك دلائل على الحلم الصادق،فأذا كانت الرؤيا في النصف الثاني من الليل ،وصدق وتقوى صاحبها،وعدم تناوله الطعام الكثير،وقصر الرؤيا، أما إذا عكست هذه الأمور فالحلم كاذبا بلا ريب.

ويعتمد البعض على الحدس والتخمين والمقارنة والاستنباط، ،فيعمدون إلى قلب الأشياء،وتفسير الحلم بعكس أحداثه،فالحيوان له في المعتقدات الشعبية أثر في التفاؤل والتشاؤم،والخير والشر،فينعكس ذلك على أحلامهم ،فيكون تعبير الرؤيا بما يتواءم مع النظرة إلى ذلك الشيء،وقد يرى الحالم الذهب ،والذهب يعني المال الكثير،ألا أن المفسر قد ينسبه إلى معنى الكلمة ،التي تعني الذهاب،وقد يعني ذلك السفر أو الموت،من هنا يأتي دور المفسر للأحداث وتأويله لها،من خلال التحليل والخروج بتفسير مقنع.

وكثيرا ما تتحقق بعض الأحلام،وتصدق بعض التفسيرات،فيرى الحالم عيانا ما شاهده في حلمه،خيرا كان أم شرا، ومن غرائب ما يراه الإنسان في نومه،رؤية أحد الناس الذين فارقهم من سنين،ويتحقق ما يراه في يقظته،فيلتقي بهم، ويشاهدهم عيانا،وهذه المفارقات تجعل الإنسان في دوامة بين الشك واليقين،والتصديق والتكذيب لماهية الأحلام وتفسيرها،ولعل العلم الحديث يكشف لنا في المستقبل الكثير من هذه المعميات.

وسنتناول فيما يلي بعض التفسيرات المتداولة في الحياة الشعبية والتي فسرت الاحلام على اساسها:

❖رأى الكثير منا في أحلامه أنه قد تشاجر مع شخص ما وطعنه ذلك الشخص بسكين،وعندما يقص حلمه ،تسأله جدتي:هل خرج الدم من جرحك؟فأذا أجاب بالإيجاب،تهللت أساريرها،وطمأنته بأن الحلم قد فسد،لأن خروج الدم يعني الفساد،أما إذا لم يخرج الدم،فعليك التزام الحذر،وعدم إثارة المشاكل مع الآخرين، فقد يصدق الحلم وتصاب بجرح قاتل.

❖وقد يرى الإنسان في منامه،أنه خلع أحد أسنانه،فيفسر على أنه نذير سوء،وسيفقد عزيزا عليه،أثيرا لديه.

❖وإذا رأى النائم أن أحدى يديه قد كسرت،فذلك دليل الشر والأذى،ونذير بما سيحيق به في أيامه القادمة من مشاكل ومصاعب.

❖أما إذا رأيت أحد رجال الشرطة،فهذا دليل على أنك سترزق بولد ذكر،له شأن كبير في القضاء،أو إدارة الدولة، أو في سلك الشرطة

❖وقد ترى في منامك أن أحد اللصوص قد سرقك،أو تسور دارك لغرض السرقة،فتفسير ذلك أن ضيفا سيحل عليك،أو سيأتي أليك شخص غاب عنك طويلا،أما إذا كانت الحالم ،حاملا فهذا دليل على أنها ستلد ذكرا يتمتع بالقوة والرجولة ويكون له شان كبير بين أقرانه.

❖وتعبير رؤية الوجه الجميل في الأحلام دليل السعادة الدائمة، والحياة الرغيدة، لأن الجميل يعني جمالية الحياة التي سيعيشها الإنسان.

❖أما إذا رأيت وميضا في السماء،فهذا يدل على أن خبرا سارا سيأتيك عن شخص عزيز مسافر،أو غائب طال غيابه،أو خبر مفرح من أحد ألأقارب البعيدين.

❖وقد ترى نفسك مرتديا أطمار بالية،وأسمال رثة،فهذا يدل على أن الناس لا تسرهم رؤيتك،أو أنك مكروه منهم،فعليك تغيير تصرفاتك نحو الأحسن،حتى تكسب ود الآخرين وحبهم.

❖وإذا رأى الإنسان أن أحد الأموات طلب منه زادا،وكان ذلك الشخص من معارفه،أو أقاربه،عليه أن يعمل له ما طلب من طعام،ويوزعه على الفقراء والمساكين.

❖وقد يرى الحالم نفسه،وقد انتهى أجله،وأنتقل إلى الرفيق الأعلى،فيجلس وقد استولى عليه الهم،وأخذه الحزن،ولكن جدتي لا ترى ما يراه،فأن حلمه دليل على أطالة حياته، وزيادة عمره،وابتعاد أجله،وأنه سيعيش أكثر مما قدر له.

❖وقد يرى أحدنا أنه رزق بولد ذكر،وهذا غير ممكن لكبر سنه،أو لأنه غير متزوج،فكيف يكون الأمر يا جدتي العزيزة؟ ولا تخلوا جعبة جدتي من تفسير مقنع،فهذا يدل على ورود أخبار هامة،تفرح قلبه،وتسر فؤاده، أما إذا رأى بنتا في المنام،وحالته كما سبق،فأن جدتي تقول أنه دليل الخير والبركة وكمال النعمة.

❖وقد ترى المرأة أنها ارتدت فستانا جديدا،فهذا يعني أنها سترزق بطفلة جميلة يتزاحم عليها الخطاب.

❖وقد يرى الإنسان أنه ارتدى حذاءا ضيقا،أو أهداه أحدهم مثل هذا الحذاء،فهذا يدل على أنه سيقع في الضيق وتتأزم أموره العامة/وأن أحدهم يحيك له مؤامرة لإيصال الأذية إليه،ولكنه سينجو منها ويتخلص من ذلك المأزق.

❖أما إذا فقدت المرأة حليها ،جميعا أو بعضها،فهذا يدل على أنها ستفقد عزيزا عليها،أو تفقد بعض أسنانها.

❖وفي التفسير العكسي للأحلام نرى أن تأويل البكاء في الحلم ،دليل على أن الإنسان سينعم بالأفراح،وسيضحك كثيرا.

❖وقد ترى العذراء في منامها،أن أحدهم قد أعطاها "حجلا" وهو حلية معروفة،وتفسيره أنها ستحصل على زوج سهل القياد"كمش"،يمكنها تسييره كما تشاء،وبصبح لعبة بين يديها تحركه كما تريد.

❖أما إذا رأت المرأة أنها خلعت سوارها ،فهذا دليل على انتهاء أزمتها،وخلاصها من القيود التي تكبلها في حياتها الخاصة.

❖ورؤية السمك في المنام من علائم التوفيق والنجاح،وبشائر الرزق الوفير والبركة.

❖ورؤية العقرب في شكلها القميء المقزز في عرف جدتي،دليلا قاطعا على وجود شخص يكيد لك،ويحاول إيذاءك بمختلف الطرق والوسائل،لذلك يجب الحذر،وتفويت الفرصة ،بالجنح إلى السلم،وعدم إثارة المشاكل.

❖أما رؤية الذئب في المنام،فلها مدلولات عديدة،فبعضهم يفسر ذلك بوجود من يضمر لك السوء،ويحاول إيصال الأذية أليك،وآخرون أن هناك من يكذب عليك،ويحاول بشتى الطرق إيذائك،وهو دليل المراوغة والحيلة.

❖وكثرت التأويلات والتفسيرات لرؤية الأفعى،فجدتي تدعوا إلى التمعن للوصول إلى الرأي الراجح والسليم،فأذا كنت مدان بنذر لأحد الأولياء فعليك الإسراع بسداده،أو لديك عدو يحاول إيذائك والنيل منك ،لذلك يجب الحذر واليقظة اتجاه الأحداث.

❖أما حصولك في المنام على "مهرة"وهي فرس جميلة تسر الناظر ،فهذا يدل على أنك ستحظى بزوجة رائعة الجمال.

❖ورؤية الكلب في المنام،تعني أنك ستحصل على صديق وفي،يكون عونا لك في الشدائد والملمات.

❖أما رؤية الجرذ فدليل على أن أحدهم قد أغتابك،وتكلم بما يشينك،ودليل على وجود عدو شديد يحاول الإساءة أليك والنيل منك.

❖وقد يزورك الطبيب في منامك،فأذا كنت مريضا،فهذا دليل الأبلال من المرض،وإذا كنت سليما ،فتفسيره أنك لا تصاب بأي مرض.

❖وكثيرا ما يرى أحدنا أقاربه أو أحد جيرانه ممن توفي مؤخرا وهو عريان،أو يرتدي أطمار بالية،فهذا يدل على أن أهله لم يوزعوا ملابسه على الفقراء،أو لم يتصدق في حياته على أحد،أما رؤية الميت وهو يتناول طعاما رديئا فيدل دلالة واضحة على عدم إعطائه المحتاجين من طيبات ما يأكل، بل يعطي فضلات طعامه.

❖ وقد يرى الإنسان في منامه بعض الحيوانات تعبث في أواني،وتلغ ما فيها من طعام،ويقول العارفين أن ذلك يدل على أن الأجرين يعبثون بشرفه.

❖ورؤية الجمل في المنام وهو يسير في الوديان،يرمز إلى الجنازة ،ومن يراه قد يموت.

❖وقد يمتطي أحدهم جوادا في منامه،وهو في المعركة،فانه سيكون ذا عز ومنعة،ومكانة سامية في النفوس،ويرتقي أعلى المناصب.

❖وإذا رأى نفسه يعانق شخصا أو يقبله،أو يحتضنه ويصافحه،فسيسر برؤية أحد أقربائه،أو أصدقائه ممن لم يراهم منذ فترة طويلة.
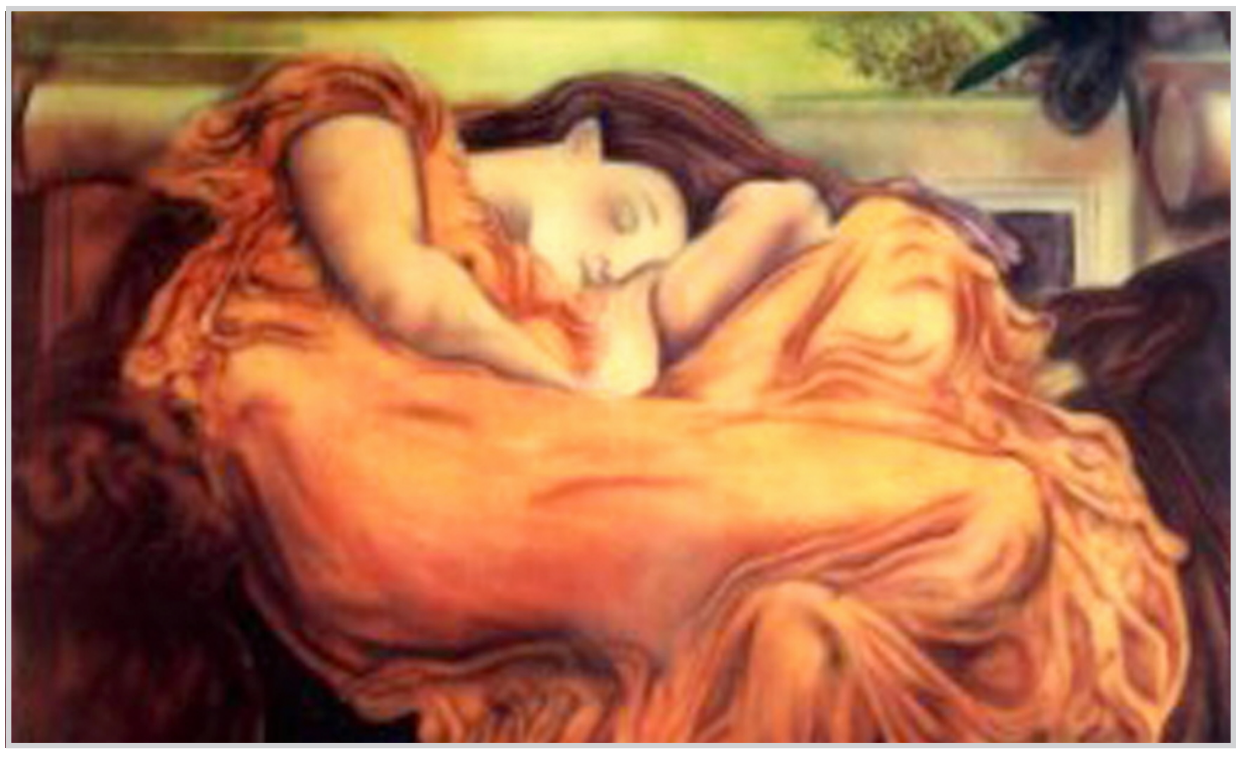
وهناك تفاصيل اخرى اشمل واوسع يعتقدها عامة الناس في تفسير احلامهم.